مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣١/٢٠١٠ هـ.ق، العدد ١٧ (٤) ١٠٩- ١٢٥

النّزعة الحِكمية في الشّعرالجاهلي

غلامرضا كريمي فرد[١]، أميد جهان بخت ليلي[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٣٠/٩/١ تاريخ القبول: ١٤٣١/٥/٦

وردتِ الحكمة في الذكر الحكيم في عشرين آية من آياته الكريمة مُشاراً اليها بانّها فضل اللّه و منّته يؤتيها من يشاءُ من عباده ... و ما أعظم الحكمة حين تخرج من الشاعر الّذي يجمع بين ملكة الشعر و بين نعمة الإيمان فحينئذٍ لشعره أثر السحر.

و الحكمة كما قالَ الرسول (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) ضالّة المؤمن ؛ أمّا دراستنا هذه حول «الحكمة في الأدب الجاهليّ» تدور حول ما جادت به قريحة الشعراء من الأشعار في مضمارالحكمة و فضائل أهل الجاهلية و مثلهم العُليا، كما اعترفنا فيها بمثالب العصرالجاهلي و بما اتّصف به أهل الجاهلية من السّفه والغلظة والإنقياد وراءَ الأهواء و مشيرينَ إلى أنّ الحكمة آنذاك كانت وليدة التجربة المفيدة و البصيرة المستنيرة و الخيال الصافي و الصورة المنتزعة بما يحيط بالشعراء مع سهولة المعنى و جزالة اللّفظ و متانة السبك.

الكلمات الرئيسية: الحكمة، الحلم، الصّبر، الحزم، القسوة، المداراة، النزعة الإنسانية.

١. أستاذ مساعد بجامعة الشهيد تشمران في الأهواز

٢. طالب في مرحلة الدكتورا بجامعة الشهيد تشمران في الأهواز

Archive of SID

www.SID.ir

المقدّمة

العلم هو المعرفة و الإطّلاع عن كنه و أسرار ما تجبُ معرفته و الحكمة هي أن توضع المعلومات في مكانها ومقامها المناسب ، و كل حكيم عالم ، و ليس كلّ عالم حكيماً ، و الحكمة في الشعر هي ذروة الأدب و قِمّةُ ما تجود به القريحة و عُرف بعض الشعراء بمنظوماتهم الحكمية، منهم لبيد بن ربيعه(٥٦٠-٦٦١م)، ذو الإصبع العدواني(؟-٦٠٠ م)، الأفوه الأودي، عبيدبن الأبرص(٤٥٥-٥٥٤ م)، زهيربن أبي سُلمي(٥٣٠-٦٢٧م) و حاتم الطّائيّ(؟- ٦٠٥م) و قيس بن عاصم المنقري و... .

أمّا الحكمة فما هي لغوياً وعرفياً؟

قال عنها اللّغويون : «لها مَعنيانِ رئيسيان : «المعنى الأوّل : المنع، و المعنى الثّاني: الإستحكام و ارتباطها مع هذين المعنيين هو أنّها مانعة من الجهل و الأخلاق المذمومة و تطلق على العلم الخالي من الخلل والمحكم الّذي لايقبل الخطأ مطلقاً» (الريشهري،٨١) «و الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، و يقال لمن يحسن دقائق الصّناعات و يتقنها :حكيم »(ابن منظور، مادة حكم) و«العلم بحقائق الأشياء و العمل بمقتضاها و لهذا انقسمت إلى علمية وعملية، و يقال: هي القوّة العقلية العلمية وهذه هي الحكمة الإلهية »(تاج العروس) وقال عنها المفسِّرون : «الحكمة بكسر الحاء على فِعلة، إسم نوع يدلّ على نوع المعنى، فمعناه النّوع من الإحكام والإتقان، أو نوع من الأمر المتقن الّذي لايوجد فيه ثلمة ولا فتور. و غلبَ استعماله في المعلومات الفعلية الحقّة الصّادقة الّتي لا تقبل البطلان و الكذب البتّة»(الطّباطبائي،٣٩٥/٢) و «أن يدعوهم إلى الأفعال الحسنة الّتي لها مدخل في استحقاق المدح و الثّواب عليها» (الطّوسي،٤٤٠/٦) «الحكمة القرآن ... لأنّهُ يتضمَّنُ الأمر بالحسن و النّهي عن القبيح» (الطبرسي،١٣٨/٤) و«هي المقالة الصّحيحة المحكمة وهي الدّليل الموضح للحقّ المُزيل للشّبهة» (الزمخشري،١٣٨/٢).

و بالإمعان في أقوال الفريقين- اللّغويين والمفسّرين- يتّضح الإختلاف الكبيربينهما و بالذّات فيما ذهبَ إليه السيد محمّد حسين فضل اللّه من أنّ ما ذهبَ إليه اللّغويون ليست معاني للحكمة ... و إنّما يعتبرها مصاديق للمعنى تلتقي بالمعنى الواسع للحكمة إلّا أنّها - المصاديق-لاتتّصف بما ذكره لها اللّغويون كمعنى حقيقيّ فهو كمفسّر في خلاف مع اللّغويين في المعاني الّتي نَبّتُوها لـــ «الحكمة» و السبب «لأنّ مهمّتهم ليست تشخيص المعاني و المفاهيم الحقيقية للّفظ، بل مهمّتهم الأساسية هي تشخيص موارد الإستعمال فحسب، وبيان لصحيح منها من الفاسد».(أسلوب الدّعوة في القرآن، محمد حسين فضل الله، ٥٢) ولكنّه مع هذا يعتقد أنّ أقرب أقوالهم إلى لفظ «الحكمة» و ألصق معنى بها هو: «وضع الشيء في موضعه» أو «صواب الأمر و سداده» ولكنّه ليس هو نفس المعنى و عليه تلتقي صفة الحكمة بـــ «الخبرة» و «المران» و«التجربة» الأمر الّذي يمكنُ إطلاقها على العالم و العادل و الحليم و النبي لإشتمالهم على مباديء العلم و العدل و الحلم و النبوّة الّتي تساعد على وضع الأشياء في مواضعها في العلم حين يبحث و يفكر ، وفي العدل حين يقضي و يحكم ، و في الحلم حين يعفو و يسامح ، و في النبوّة حين يدعو و يبلّغ» (نفس المصدر،٥٢).

و الخلاصة : أنّ مفردة «الحكمة» تشير إلى مفهوم «وضع الشيء في موضعه» أو «صواب الأمر و سداده» إلّا أنّ مبادئها تختلف ، كما أنّ مجالاتها تتعدّد . و هذا هو ما نفهمه من «الحكمة» لغوياً أو هو الفهم اللّغويّ لها و يتّضح معناها العرفيّ من خلال معرفة : هل هي محتوى و مضمون ؟ أم هي أسلوب و طريقة ؟ و بالرّجوع إلى بعض

Archive of SID

www.SID.ir

التفاسير وُجد أنّها حاولت أن تجعل من الحكمة مضموناً للدّعوة و متعلّقاً لها يتمثّلان بالأمر بالحسن و النّهي عن القبيح، أو بالإتيان بالآيات القرآنية في مقام الدّعوة، أو بإقامة الأدلّة على الحقّ وهي ممّا لاتنسجم على أن تكون محتوى و مضموناً.

و إذا لم يكن هذا هو المطلوب فما هو إذن ؟

«المراد بالحكمة هو السّير على الطريقة الواقعية، و نعني بها تلك الّتي تلاحظ الواقع الخارجيّ للمجتمع الّذي تعيش فيه، و تدرس ظروفه العقلية و الفكرية و النفسية و الإجتماعية، و تضع كلّ ذلك في حساباتها قبل بداية العمل» (نفس المصدر،٥٢).

و قد وردَ هذا المعنى في أسلوب آخر هو: «أنّها تمثّل الخطّ العمليّ الّذي يحاول أن يزنَ الأمور بموازينها الحقيقية الّتي تتوازن فيها المبادىء مع واقعية الحركة... لئلّا تنحرف المسيرة عن المباديء باسم الواقعية ، أو تبتعد عن الواقع ،نحو المثالية ،باسم المحافظة على المباديء و ذلك هو ما نستوحيه من تأكيد القرآن الكريم على الحكمة إلى جانب الكتاب ... فيما هو الخطّ المستقيم الّذي تتحرّك فيه النظرية مستوى الخط الواقعيّ للتطبيق »،(الحكمة في خط الإسلام، فضل الله، ص٨).

و بعد الإلمام بمعنيي «الحكمة»اللّغوي والعُرفي، نتطرّق الآن إلى الحديث عن الحكمة في الأدب الجاهليّ. المعروف عن العصر الجاهلي إنّه عصر جهلٍ و شرك و وُصِفَ أهلُه بالسَّفَه و القسوة و الغلظة و الإنسياق وراءَ الأهواء و الأحقاد و... لذلك قد يبدُو مستغرباً أن نتحدَّث عن الحكمة في عصرٍ سُمّي بالعصر الجاهلي .

سابقة البحث: طبعاً لم يكن مجال «الحكمة في الشعر الجاهلي » خالياً من الأبحاث بشكل عام نحو ما كُتب عن الحكمة في الشعر زهير او النابغة وغيرهما من الشعراء الجاهليين في كتب تاريخ الأدب العربي مثلما قال شوقي ضيف في كتابه وغيره و كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهانى و كذلك شروح دواوين الشعراء الجاهليين و في ايران مثلما قال الدكتور آذر شب في كتابه في الأدب العربي و تاريخه حتّي نهاية العصرالأموي و الكتب و المقالات لغيره نحو ما جاء في مقالةٍ لمؤلف هذه الدراسة «زهير بن أبي سلمي و أسلوبه المدحي» نشرت في مجلة آفاق الحضارة الرقم ٢٣ ، ولكن لم يُشاهَد مقال يدرسُ هذا الموضوع بالضّبط أو ما يقاربه أي « النّزعة الحكميّة في الشّعر الجاهلي» و الجديد في هذا البحث ربما يتخلص في تركيزنا حول موضوع هذه النزعة في شعر العصر الجاهلي خاصة حيث لم يعتن به أحد بشكل مركّز قبلاً .

و أما بالنسبة إلى منهج البحث في هذه الدراسة فإنه وصفي – تحليلي يقوم على «الطريقة المكتبية» التي تُبني على مطالعة الكتب و المقالات الّتي تطرّقت إلى هذا الموضوع بصورة متفرّقة أمثال الكتب التي أشرنا إليها آنفاً و الكتب الأخرى ثمّ مراجعة دواوين الشّعراء ، وللتّأكّد من صحّة الأشعار في ديوانٍ ما راجعْنا عدّة طبعاتٍ منه ؛ وخلال الدّراسة حصلْنا على نتائج عدة قدّمْناها في نهاية البحث.

و نحن بدورنا نُقرُّ بمثالب العصر الجاهليّ، و بما اتّصف به العربي الجاهلي، من تعسّف و جفاء و ميل شديد إلى القسوة و ... أو ما أصابَ الحياة في تلك الحقبة من وَهَن و نزيف و إختلال من جرّاء هذه المثالب و من جرّاء الحروب القبلية و نزعات الثأر، أو بتأثير من معتقدات و مفاهيم و أعراف و علاقات اجتماعية مختلفة.

فالشّعرالجاهلي يؤيد ذلك الخلل الفاضح في حياة العرب قبل الإسلام، و يصوّر لنا مأزق الحياة الّذي ولّدته مثالب الجاهلية وأعرافها المتخلّفة. بيد أنّ هذه الصورة، ليست هي الصورة الوحيدة لحياة عرب الجاهلية، بل ليس

Archive of SID

www.SID.ir

من الإنصاف، أن تحجبَ هذه الصورة بقتامتها كل ما عَداها من جوانب أو صور الحياة المختلفة الأخرى. غير أنّ الشّعرالجاهلي ينقل كذلك فضائل أهل الجاهلية و مُثُلهم العليا كما ينقل مثالبَهم و يظهر لنا مباهاة العربيّ الجاهلي و مفاخرته بالفضائل و مدى تعلّقه وإعجابه بالحكمة والحلم و التّعقّل والعدل والإنتصار للحقّ و مجانبة الظلم، بل إنّ الدعوة في الشّعرالجاهلي إلى هذه الفضائل، تكاد تغلب دعوات التطرّف والقسوة و الجور و الإستئثار و حبّ الإنتقام. و كانتِ الحكمة هي الشّرط الأوّل في الوصول إلى السّيادة في القبيلة أو السيادة في الشعر. فالقبيلة لم تسوِّد عليها إلّا من أحكمته التجارب و هذّبه الحلم وسعة الصّدر و شهد له الجميع بالتعقّل و الأناة و بعد النظر و سدادالرأي... . لذلك نلاحظ الحطيئة أحد شعراء الجاهلية يمتدح مؤهّلات القيادة في آل شماس فيصفهم بما يوصف به الحاكم الصالح من حلم و تعقّل و استقامة و سداد في القول و الفعل و حزم و أناةٍ ،كما في الشعرالمنسوب إليه:

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتُها
وإن غضبُوا ، جاء الحفيظةُ والجِدُ
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى
وإن عاهدُوا أوفَوا، وإن عقدُوا شَدُّوا
وإن كانت النّعماءُ عليهم جَزَوا بها
وإن أنعمُوا لا كدَّروها ولاكدُّوا
و إن قال مولاهم على جُلّ حادثٍ
من الدّهر، رُدُّوا فضل َأحلامكم رَدُّوا
مغاويرُ أبطالٌ، مطاعيمُ في الدّجي
بَنى لهم آباؤُهم و بَنى الجدُّ
(الديوان،٥٥).

و نشاهد زهير بن أبي سلمي، يبلور هذه الصّفات في مديح هرم بن سنان مُشيداً بخصال هذا الزّعيم المصلح:

ولأنت أوصلُ ما علمتُ به
لشوابك الأرحام و الصِّهرِ
حامي الذمار على محافظةٍ
الجُلّى أمينُ مُغيبِ الصّدرِ
حَدِبٌ على المولى الضّريك إذا
نابت عليه نوائبُ الدّهرِ
و مُرهَّقُ النيران يحمد في
اللّأواء غيرُ مُلعَّنِ القِدرِ
متصرّفٍ للمجد ، معترِفٍ
للنّائبات ، يراحُ للذّكرِ
جَلدٍ يَحُثّ على الجميع إذا
كرِهَ الظَّنونُ جوامعَ الأمرِ
والسّترُ دون الفاحشات و ما
يلقاك دون الخيرمن سترِ
(الديوان،٢٨-٢٩).

فالقيادة في نظر الشاعر مسؤولية كبيرة لايجوز أن تناط بمن لاتتوفّر فيه شروطها و مقوّماتها ، من مؤهّلات و تفوّق وإستعداد دائم للتحمّل و التجلّد و التّضحية من أجل الأخرين.

فهرم في هذه الأبيات خليق بالقيادة، لأنّه حليم واصل للرحم و للقرابة، شجاع متحفّظ، كاتم للسّرّ، عطوف، كريم، حكيم، صبور، حريص على وحدة قومه وتماسكهم يستر القبيح، و يظهر فضلَه و خيرَه للجميع. والشاعر الجاهلي لا يرتقي إلى مرتبة شاعر القبيلة و الناطق باسمها أوالمعبّر عنها ما لم يعبّر شعره عن معاني الحكمة و سداد القول و الفعل؛لعلّ ذلك يفسّر لنا انتشارالحكمة، حتّي في شعرعددٍ من الشعراء الّذين لم يعرفوا بالحكمة و الحلم و التعقّل ، بل عُرفوا بالقسوة و الفتك و نزعة الإنتقام كعامر بن

Archive of SID

www.SID.ir

الطفيل و الشنفرى و ... أو اشتهروا بالعبث و الإستهتار و الإنصراف إلى الملذّات كامريء القيس و... . لذلك نلاحظ عامربن الطفيل أحد فرسان الجاهلية المشهورين بالقسوة و العنف، يتباهى بحكمته و حلمه و سداد رأيه و عدله وقد ساد قومه، على حدّ قوله بفضل هذه المؤهّلات و الصفات، فقبيلتُه لم تسوِّده عليها بالوراثة أو بالنّسب بل بالجدارة و الكفاءة، كما في الشعرالمنسوب إليه:

وإنّي و إن كنتُ ابن سيد عامرٍ
و فارسَها المندوب في كل موكبِ
فما سوّدتني عامرٌ عن وراثةٍ
أبي اللّهُ أن أسمو بأمّ و لا أبِ
لكنّي أحمي حِماها و أتّقي
أذاها و أرمي من رماها بمنكبِ
(الديوان،١٣).

كما يقول في موضع آخر:

فإنّ لنا حكومةَ كلّ يومٍ
يبين من مفاصله الصّوابُ
وإنّي سوف أُحكم غيرعادٍ
ولا قذعٍ ، إذا التُمس الجوابُ
حكومةَ حازمٍ لا عيب فيها
إذا ما القوم كظّهمُ الخطابُ
فإنّ مطية الحلم التأنّي
على مهل و للجّهل الشبابُ
(البستاني،٢٩٦/١).

و حتّي الشّنفرى الشّاعر الفاتك الصّعلوك يجد لديه ما يفاخر به من الحكمة و السّجايا و الخصال الحميدة من حزم وعفّة و إقدام ومجافاة لكلّ ما يعيب، و إنّ من يقرأ لاميته المشهورة، يخال أنّه أمام أحد الحلماء و الحكماء، كما وردَ في الشعرالمنسوب إليه:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذي
وفيها لمن خاف القِلي متعزّلُ
لعمرك ما بالأرض ضيق على امريءٍ
سَري راغباً أو راهباً، وهو يعقلُ
أُديم مطال الجوع حتّي أميتَهُ
و أضرب عنه الذّكر صفحاً فأذهلُ
و أستفّ ترب الارض كي لايرى له
على من الطّول امرؤ متطوّل
ولولا اجتناب الذّام، لم يلفَ مشربٌ
يعاش به ، إلّا لدي و مأكلُ
ولكنّ نفساً مُرّةً لا تقيم بي
على الضّيم، إلّا ريثما أتحوّلُ
وأعدم أحياناً و أغني، وإنّما
ينال الغنى ذو البعدة المتبذّلُ
فلاجزعٌ من خلّةٍ متكشّفٌ
ولامرحٌ، تحت الغنى أتخيلُ
ولا تزدهي الأجهالُ حِلمي ولا أُرى
سؤولاً بأعقاب الأقاويل أُنمِلُ
(المصدر نفسه،٥/١).

و كذلك شعر امريء القيس، شاعر العبث و المجون و الإنقياد للشّهوات، يعبّر أحياناً عن الحكمة و عمق الرؤية التأمّلية والإحساس العميق بعبث الوجود وهشاشته، حتّى كأنّ رحلته العابثة الماجنة قد انتهت به إلى الحكمة و التصبّر. يقول و كأنّنا أمام حكيم متأمّل مشغول بحقائق الوجود الكبيرة :

أرانا مُوضِعينَ لأمر غيبٍ
و نُسحَر بالطّعام و بالشّرابِ
عصافيرُ و ذِبّانٌ و دودٌ
و أجرَأُ من مجلّة الذِّئابِ
(الديوان،٢٠٣).

Archive of SID

www.SID.ir

و كما في قوله عن سرعة انطفاء الحياة و الأشياء :

كأنّي لم أركب جواداً للّذةِ
و لم أتبطّن كاعباً ذاتَ خَلخالِ
و لم أسبأ الزّقّ الرويّ و لم أقل
لخيلي كرّي، كرّةً بعد إجفالِ (الديوان،٦٢).

كما أنّ الشاعر العربيّ الجاهلي «الأسود بن يعفر النهشلي » من الشّعراء الّذين نادموا الملك النعمان يذكرُنا في شعره بالصورة التي صوّر بها القرآنُ الكريمُ الدّنيا : « و اضرب لهم مثل الدّنيا كماءٍ أنزلناهُ من السّماء فاختلط به نباتُ الأرض فأصبحَ هشيماً تذروهُ الرّياحُ ... »،[الكهف؛ ٤٥]:

أين الّذين بَنَوا فطالَ بناؤهم
و تمتّعُوا بالأهل و الأولادِ
فإذا النّعيم و كلّ ما يلهى به
يوماً يصيرُ إلى بِلى و نفادِ
ماذا أُؤمّل بعد آل محرِّق
تركوا منازلَهم و بعد إياد
أهل الخورنق و السّدير و بارق
و القصرِذي الشُّرُفات من سنداد
(البستاني ،٣٤٩/١).

الّذي يهمّنا في أقوال هؤلاء الشّعراء هو أنّ مثل هذه المباهاة أو المفاخرة بالحكمة و العفّة و سداد الرّأي تُفصِح عن مدى إعجاب العربيّ الجاهلي و افتتانه بالحكمة و الفضائل، حتّى و لوكان بعضهم يفتقر إلى ما يفاخر أو يتباهى به. ولكنّ الّذي يلفت نظرنا هو أنّ الحكمة في الشعر الجاهلي تتجلّى في صُوَر و أشكال مختلفة، منها في الحلم ؛ والقسوة والشدّة ؛ والتعامل بالمثل؛ والحزم و الإتقان ؛ والصّبر و الكتمان؛ والمصانعة و المداراة و...و نحن الآن نتطرّق إليها واحدة تلو الأخرى:

الحِلمُ في الحكمة في الشّعرالجاهلي

الحلم صفةٌ من صفات الله سبحانه و تعالى و عمود من أعمدة الخُلق الإسلامي، قال الإمام على (ع):

«الحلم عشيرةٌ » (الدشتي ،ح:٤١٨)؛ «الحلم و الأناةُ توأمان ينتجهما علوُّ الهمّة » (المصدر نفسه،ح:٤٦٠).

نعم ؛ يتّضح من تتّبع بعض جوانب الحكمة في الشعرالجاهلي و تنوّعاتها، أنّ نزعة إصلاحية و إنسانية كانت تنمو و تقوى، قبل ظهور الإسلام، يمثّل هذه النزعة طائفةٌ من الشعراء اُتُّصفوا بالحلم و العقل و الرأفــة و الإيثار و الميل إلى المسالمة و الإحساس العميق بالمسؤولية و الرغبة الملحّة في إصلاح مفاسد المجتمع فقد كرّسوا في شعرهم هذه المفاهيم العالية و جنّدوا شعرهم و حكمتهم لإصلاح البناء الإجتماعي و لتعزيز المفاهيم و القيم الأخلاقية و الإنسانية. و لذلك نلاحظ مثلاً حاتم الطائيّ، أحد حكماء العرب في الجاهلية، يرى إنّه لايمكن معالجة الأحقاد و استلال الضغائن من الصّدور أو إطفاء نارالفتنة و الحروب، إلّا بالحلم و التروّي أو بحمل النفس على التحلّم، فاللّجوءُ إلى الحلم و كفُّ الأذى كفيلان بترع فتيل الضغائن و الأحقاد و إبطال طاقتهما المدّمرة، كما رُوي عنه:

تحلّم عن الأدنين و استبقِ ودَّهم
و لن تستطيع الحلم حتّي تحلّما
متي ترقَ أضغانَ العشيرة بالأني
و كفّ الأذي، يحسَم لك الداء محسما
(البستاني٣٠٦/٢).

و يتباهى معن بن أوس بحلمه و سعة صدره و تسامحه، مشيراً إلى دور الحلم و أثره في معالجة الأحقاد و تقليم أظفار الكراهية و البغضاء، التي كانت السبب الرئيس في نشوب الحروب، كما في الشعر المنسوب إليه:

Archive of SID
www.SID.ir

و ذي رَحِمٍ قلّمتُ أظفار ضغنه
بحِلمي عنه، و هو ليس له حِلمُ
يحاول رغمي،لايحاولُ غيره؛
وكالموت عندي أن يحلّ به الرّغمُ
فَإن أعفُ عنه أُغضِ عيناً على قذى
و ليس به بالصّفح عن ذنبه علمُ
إذا سُمتُهُ وصلَ القرابة، سَامني
قطيعتَها، تلك السّفاهة و الإثمُ
فمازلتُ في ليني له و تعطّفي
عليه، كما تحنو على الولد الأمُّ
لأستلّ منه الضّغن حتّي استللتُهُ
و قد كان ذا ضغنٍ يصوّبه الحزمُ
و أبرأتُ غِلّ الصّدر منه توسّعاً
بحلمي، كما يُشفَى بالأدوية الكلمُ
(المصدر نفسه،٢/٥٦).

لسنا هنا، أمام حكيم و مصلح و شاعر حلم فحسب، بل نحن أمام طبيب نفسيّ ماهر، يعالج أكثر الأمراض و أخطرها فتكاً و تدميراً لإنسانية الإنسان... .

و يمتدح زهير بن أبي سلمي حصن بن حذيفة بن بدر، بأحبّ خصلة يفاخر و يعتزّ بها العربي:

و ذي خَطَلٍ في القول يحسب أنّهُ
مصيبٌ، فمايلمم به، فهو قائله
عبأتَ له حلماً و أكرمتَ غيرَهُ
وأَعرضتَ عنه وهو بادٍ مقاتله
(الديوان،٥٩).

و حين يرثي كعب بن سعد أخاه، أبا المغوار، لا يجد في سجاياه و خصاله الحميدة فضيلةً أو صفةً أجمع للفضائل من الحلم، فيكرّر إشادته بحلمه و أناته و صبره على المكاره:

لقد كان، أمّا حلمهُ فمروّحٌ
علي و أمّا جهله فعزيبُ
أخي، ما أخي،لا فاحشٌ عند ريبه
ولا ورع، عند اللّقاء، هيوبُ
حليم، إذا ما سورة الجهل أطلقت
حُبَى الشّيب، للنفس اللّجوج غلوبُ
هو العسل الماذيُّ حلماً و شيمةً
و ليث، إذا لاقي العداةَ، قطوبُ
غياثٌ لعانٍ لم يجد من يغيثه
و مختبطٍ، يغشى الدّخان، غريبُ
حليمٌ، إذا ما الحلم زين أهله
مع الحلم، في عين العدوّ، مهيبُ
(البستاني،١/٣٥٥).

و رُوي عن تميم بن مقبل في فضيلة الرفق و التروِّي وهما من صفات الحليم:

خليليّ لاتستعجلا و انظرا غداً
عسى أن يكون الرفقُ في الأمر أرشدا
(نهاية العرب،٧/٩٥).

نعم؛ هذا الإعجاب المفرط بالحلم و ما يرافق الحلم أو يتفرّع عنه من صفات و معان و مدلولات، لايمكن فهمه، أو تفسيره، إلّا في سياق حرص الشاعر الجاهلي الحكيم على حماية الحياة و صيانتها من مخاطر السّفه و الإسراع و الإحتكام إلى العصبية و الأهواء، الّتي كانت تلحقها بالنّاس و الحياة.

فالحلم لدى الشاعر الجاهلي، ليس مقولةً كلاميةً و ليس مجرّد صفة من صفات السّيادة و الزّعامة، أو موضوعاً لإكتساب الشهرة بل هو حاجة ملحّة و وسيلة من وسائل إنقاذ الحياة و صيانة المجتمع من مخاطر الجنوح و التسرّع، و كذلك الحكمة في الشعرالجاهلي، فإنّها ليست ترفاً أخلاقياً أو طقساً اجتماعياً أو مجرّد مقولات نظرية معزولة عن

Archive of SID

www.SID.ir

حقائق الحياة و الواقع، بل هي ضرورة من ضرورات الحياة و سياج لحمايتها و شرط من شروط معالجة تناقضها و اختلالها، و نلاحظها لاتقف عند حدود الحضّ على الفضائل و القيم الإنسانية و الدعوة إلى الإصلاح، بل تسعى إلى التكامل من خلال دعوتها إلى مجانبة البغي و الظلم و القسوة و التسرّع و الشطط و هي في دعوتها المزدوجة هذه لاتقدّم معانٍ مجرّدة للفضائل و المثل العليا، أو مواعظ معزولة عن الأحداث و الواقع بل تنقل لنا أمثلة حية و تجربة عميقة صادقة، مستقاة من الواقع و الأحداث، كما نرى ذي الإصبع العدواني، يعرض علينا مأساة قومه بني عدوان، حين قادهم السّفهُ و نزعة الغي، إلى حرب إفناء و إذلال، بعد قوة و منعة و تميّز بالحكمة و الحلم، كما جَاءَ في الشّعرالمنسوب إليه:

عذيرَ الحي من عدوا
ن كانوا حية الأرض
بغى بعضُهم على بعضٍ
فلم يبقُوا على بعض
فقد صاروا أحاديث
برفع القولِ و الخفضِ
و منهم كانت السادا
تُ و الموفونَ بالقرض
و منهم حكم يقضي
فلا ينقض ما يقضي
(الأصفهانى،٩٢/٣).

و غالباً ما كانت الحكمة وليدة الإحساس بالظلم و سلامة النظرة الخاصّة أو الرؤية الذاتية المستمدّة من طول تأمّل الواقع المحيط، و هذا مايبدو من الشعر المنسوب إلى طرفة بن العبد في هذا الشأن:

قد يبعثُ الأمر العظيم صغيرهُ
حتّى تظلّ له الدماءُ تصبَّبُ
والظلمُ فرَّقَ بين حَيي وائل
بكرٌ تُساقيها المنايا تغلبُ
قد يورد الظلم المبين آجناً
ملحاً يخالط بالزّعاف و يقشب
وقراف من لايستفيق دَعارةً
يعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ
والصّدق يألفه اللّبيب المرتجي
والكذب يأنفه الدني الأخيبُ
ولقد بَدَا لي أنّه سيغُولُني
ما غالَ عاداً و القرون فأشعبُوا
أدُّوا الحقوقَ تَفِر لكم أعراضكم
إنّ الكريم إذا يحرّب يغضب
(الديوان ص٩).

القسوةُ و الشّدةُ في الحِكمة في الشّعر الجاهلي

يبدو أنّ الحكيم الجـــاهلي الّذي يدعو إلى اللّين و التسامح و الصفح و العدل؛ قد يدعو إلى موقف مغاير و هو القسوة و الحزم و حتّى إلى الظلم إستجابة لمتطلّبات الحيـــاة و ضروراتها و حاجاتها، كما وَرَدَ في الشّعر المنسوب إلى الحُصين بن الحُمام المُرّي و هو يفتخر بحزمه و سداد رأيه و قدرته على التكيف مع المتغيرات و مع متطلّبات الحياة:

و لمّا رأيتُ الودّ ليس بنافعي
و أن كان يوماً ذا كوكب مظلما
صبرنا و كان الصّبرُ منّا سجيةً
بأسيافنا يقطعن كفّاً و معصما

Archive of SID

www.SID.ir

يفلّقنَ هاماً من رجالٍ أعزّةٍ

علينا و هم كانوا أعقّ و أظلما

(المفضّليات،الضّبي،١٠٤).

الحكمة هنا تتطلّب القسوة و الشدّة، مادام الصبر و الودّ لم ينفعا في دفع الشرّ و ردّ الظلم، بل إنّ الحكمة تبرّر الشرّ و تبيحه و تدعو إلى إستخدام العنف، إذا أخفق الصّفح و الحلم و التسامح في دفع الشرّ و تجنّب اللّجوء إلى العنف، كما رُوي عن الفند الزّماني في هذا المعنى:

صفحْنا عن بني ذهل

و قلنا: القوم إخوانُ

عسي الأيام أن يرجعـــ

نَ قوماً كالّذي كانوا

فلمّا صرّح الشرّ

فأمسى و هو عريانُ

و لم يبق سوى العدوا

ن دناهم كما دانوا

و بعض الحلم عند الجهـــ

ـــل للذلّة إذعانُ

و في الشّرّ نجاةٌ حِيـــ

ن لاينجيك إحسانُ

(حماسة أبوتمام،١/٢٠- ٢١).

فاللّجوء إلى الشرّ في مثل هذه الحالة لم يَعد مباحاً في نظر الحكيم الجاهلي فحسب، بل أصبح قارب نجاة و ضرورة يمليها الواجب تجاه الحياة، كما تحتمها مشروعية الدفاع عن النفس.

و حتّي زهيربن أبي سلمي شاعرالمسالمة و الصفح و التحلّم، يبرّر الظلم أحياناً، بل يدعو إلى استخدامه أو التلويح به، لردع الظلم و دفع العدوان، باعتباره نوعاً من أُنواع الحرب الوقائية، أو وسيلةًمن وسائل حماية صفوالحياة و منع اتّساع رقعة الشر، يقول في هذا المعنى:

و من لم يذدْ عن حوضه بسلاحه

يهدَّم، و من لايظلم النّاس يُظلَم

(الديوان،٧٣).

و يقول الشاعر الناقد و الحكم في سوق عكاظ النابغة الذبياني في القوّة:

تعدو الذئاب على من لا كلابَ له

و تحتمي مربضَ المستأسد الحامي

(الديوان،١٣٠).

وكما رُوي عن كعب بن سعد الغنويّ:

و لايلبث الجهّال أن يتهضّموا

أخا العلم ما لم يستعنْ بجهولِ

(حماسة البحتريّ،١٦٨).

مبدأ التعامل بالمثل في الحكمة في الشّعرالجاهلي

من الواضح أنّ الحكمة في الشعرالجاهلي الّتي أباحت استخدام القسوة و الظّلم و الحمق كسلاح يدفع الظلم و يردع القسوة، لم ترفع من شأن الظلم و القسوة و لم تسقط عنها الصّفة البغيضة المستنكرة... و لم تزل عن أصحابها صفة الظلم و... حتّى في حالة الدفاع عن النّفس، بل الحكمة في الشعرالجاهلي تدعو إلى مبدأ التعامل بالمثل و مجازاة الخير بالخير و الشرّ بالشرّ و هي في دعوتها هذه، حكمة متوازنة تنسجم في واقعيتها مع ضرورات و متطلّبات الحياة و مع القوانين و الأعراف الدّولية و مع التعاليم السماوية، كما أقرّ القرآن الكريم مبدأ التعامل بالمثل: «فمن اعتدي عليكم فاعتدُوا عليه بمثل ما اعتدى

Archive of SID

www.SID.ir

عليكم»(البقرة،١٩٤)؛« و كتب عليهم فيها أنّ النّفس بالنّفس و العين بالعين و الأنف بالأنف و الأذن بالأذن و السنّ بالسنّ»(المائدة،٤٥).

ونُسب إلى الشّاعر الجاهلي أوس بن حجر:

و عندي قروضُ الخير و الشرّ مثلُهُ
فبؤسي لدى بؤسي و نعمي لأنعم
(الديوان،١٢١).

كما يقول لبيد بن ربيعة:

و إن تسألن بي، فانّي امرؤ
أهين اللّئيم و أحبو الكريما
و أجزي القروض وفاءً بها
ببؤسي بئيساً و نُعمي نعيما
(الديوان،٢١٠).

و يصوّر لنا قيس بن الخطيم حربا حاطبا نشبت بين الأوس و الخزرج:

دعوتُ بني عوف لحَقن دمائهم
فلمّا أبوا سامحتُ في حرب حاطبِ
و كنتُ امرأ لا أبعث الحرب ظالماً
فلمّا أبوا أشعلتُها كلّ جانبِ
أربتُ بدفع الحرب حتّى رأيتها
عن الدفع لاتزداد غيرَ تقاربِ
(الديوان،٨٠-٨١)

الحزمُ والإتقانُ في الحكمة في الشعر الجاهلي

إحدي صفات الحكيم الجاهلي، هي الحزم و الإتقان و القدرة على التّكيف و على التّجاوب مع متطلّبات الحياة و ضروراتها و التعامل مع الممكن و تجنّب المستحيل ما لم يكن له نصيب من الممكن و احتمالات النّجاح. كما يقول الأعشي:

إذا حاجةٌ ولّتْك لاتستطيعها
فخُذ طرفاً من حاجةٍ حين تسبقُ
فذلك أدنى أن تنال جسيمَها
و لَلقَصدُ أجدى في المسير و ألحقُ
(الديوان،٢٤٣/١).

وكما نُسب إلى عمروبن معدي كرب:

إذا لم تستطعْ شيئاً فدَعهُ
و جاوزهُ إلى ما تستطيعُ
(الأصفهانى،٢٤٣/١٥).

نعم كما نلاحظ؛ هذه الدعوة إلى الأخذ بالممكن و تجاوز المستحيل إلى ما هو مستطاعٌ هي صورة مغايرة لصورة العربيّ الجاهلي المتّهم بالتعسّف و التطرّف و البعد عن التعقّل.

ثمّ إنّ الحزم والإتقان في الحكمة في الشّعرالجاهلي هما معيارا الوعي و سلامة الحواس و التوازن الذهني سواء كان الإتقان في القول أو في الفعل؛

يقول الحطيئة في مديح آل شماس، فيصفهم بسداد الرأي و إحكام الأمور و إتقان الفعل:

أولئك قوم إن بَنَوا أحسنُوا البُنى
وإن عاهدوا أوفوا و إن عقدوا شدّوا
وإن كانت النّعمي عليهم جَزَوا بها
و إن أنعمُوا لاكدّروها و لاكدّوا
(الديوان،٥٥).

ويقول تأبّط شرّاً:

إذا المرءُ لم يحتل و قد جدّ جدّهُ
أضاع وقاسى أمرَهُ و هو مدبرُ
ولكن أخو الحزم الّذي ليس نازلاً
به الخطبُ إلّا و هو للقصد مبصرُ
(البستانيّ،١٦/١).

Archive of SID

www.SID.ir

و يقول أبوأذينة في الحزم و الإتقان:

و أحزمُ الناس من إن فرصةٌ عرضت
لم يجعل السّببَ الموصولَ منقضبا
و أنصفُ الناسِ في كل المواطن من
سقى المعادينَ بالكأس الّذي شربا
لاتقطعن ذنب الأُفعى و تُرسِلَها
إن كنتَ شهماً فأتبعْ رأسَها الذّنَبا
(المصدرنفسه،١/٢٦٤).

الصّبر و الكتمان في الحكمة في الشّعرالجاهلي

أحياناً نجد دعوةَ الشاعر الجاهلي إلى الحزم و الإتقان تدخل في إطارٍ واقعي للحكمة الجاهلية، فالحزم في الحكمة في الشعرالجاهلي يعني القدرة على وضع الأمور في موضعها الصحيح، و بهذا القياس يمكن اعتبار الصّبر و الحذر و كتمان السرّ و القسوة عند الحاجة و اغتنام الفرص عندما تسنح، نوعاً من أنواع الحكمة و الحزم، كما يقول الشاعر الصابر المؤمن أبوذؤيب الهذلي في حكمة الصبر و التجلّد، و قد امتُحنَ بمصيبه تميد لها الجبال الراسيات، و لكنّها لم تزعزع له إيماناً، و لم تصدع له كبداً... بل وقف منها موقف الصابر المحتسب فقد مات بنوه الخمسة في الطاعون:

أَمِن المنون و ريبها تتوجّعُ
و الدّهر ليس بمُعتبٍ من يجزعُ
و لقد حرصتُ بأن أدافع عنهم
و إذا المنيةُ أقبلت لاتدفعُ
و تجلّدي للشّامتينَ أُريهم
أنّي لريب الدّهر لاأتضعضعُ
حتّي كأنّي للحوادث مروةٌ
بصفا المشرّق كلّ يومٍ تقرعُ
(المصدر نفسه،٢/٧٠).

و يفاخر قيس بن الخطيم بصبره على مكاره الحروب:

و ليس أخو الحرب الشديدة بالّذي
إذا زبنتَهُ، جاء للسّلم أخضعَا
أخوالحرب لاينآدُ للحرب متنُهُ
ولايظهِرُ الشكوى و إن كان مُوجعا
(حماسة البحتريّ،٣٤).

و في كتمان السّرّ،نُسب إلى الشّاعر الفارس و البطل المغوار في موقعة «القادسية» أبو محجن الثّقفيّ:

لاتسألي الناسَ عن مالي وكثرته
وسائلِي القومَ عن بذلي وعن خُلُقي
قد يعلمُ القومُ أنّي مِن سَراتهم
إذا سَما بصرُ الرعديدة الفرقِ
وأكشفُ المأزقَ المكروبَ غمّتَهُ
و أكتمُ السّرَّ فيه ضربةُ العُنقِ
و قد أجودُ و ما مالي بذي فَنَعٍ
و قد أكرُّ وراءَ المُحجَر البرِق

نلاحظُ الشاعر يجودُ بماله رغمَ حاجته اليه ولكنّه «بالسرّ» شحيحٌ ضنينٌ إذا استودعه أحدٌ هذه الأمانةَ الغاليةَ، كما أنّه يرى أن يكون في إفشائه ضرب الأعناق.

و في كتمان السّرّ و حفظ اللّسان يقول إمريء القيس:

إذا المرء لم يحزن عليه لسانُهُ
فليس على شيءٍ سِواهُ بخزّانِ
(الديوان،٣٤).

المصانعة و المداراة في الحكمة في الشّعرالجاهلي

يبدو أنّ الشاعر الجاهلي يرى أنّ في المصانعة و المسايرة و المجاملة، و إخفاء مشاعر العداوة و البغضاء نوعاً من أنواع الحكمة و سداد الرأي؛ أمّا من وجهة الإسلام فإنّ الرسول (صلّي الله عليه و آله و سلّم) يقول: «رأس العقل

Archive of SID

www.SID.ir

المداراةُ»(ميرزايي،٥١)؛ «مُدَاراةُ الناس نِصفُ الإيمان و الرّفقُ بهم نصفُ العيش»(المصدر نفسه،٤٤٨).

كما يقول الإمام علي (عليه السلام) في هذا الشأن، «مقاربةُ الناس في أخلاقهم أمنٌ من غوائلهم»(دشتي،ح:٤٠١).

أمّا الحكيم الجاهلي فَنَراهُ يبالغ أحياناً في دعوته إلى مصانعة الأعداء الأقوياء و مداهنتهم و مسالمتهم، ريثما تحينُ الفرصة المواتية للمكاشفة و المجاهرة و المواجهة، كما يقول الشاعر الجاهلي زهيربن أبي سلمى:

وَ من لايُصانعْ في أمور كثيرة

يضرّسْ بأنياب و يوطأ بَمنسمِ

(الديوان،٨٧).

و يقول المتلمّس في حكمة المهادنة و المداراة ريثما تحين الفرصة المواتية:

وأطرق إطراقَ الشّجاع ولو يرى

مساغاً لنابَيه الشجاعُ لصَمَّما

(البستانيّ،١/١٨٨).

ونُسب إلى مَعن بن أوس المزنيّ:

أكاشرُ ذا الضغن المبين ضغنهُ

و أضحك حتّي يظهِر الناب أجمع

و أدهنُه بالقول دهناً و لو رأى

سريرة ما أخفي لباتَ يفزعُ

(حماسة البحتريّ،١٤).

النّزعة الإنسانية في الحكمة في الشّعر الجاهلي

ونلاحظ فيما سَبَقَ كيف تلتقي الحكمة في الشعر العربي الجاهليّ، بل كيف تندمج أحياناً بالنزعة الإنسانية و بكل ما يميزها من مشاعر الرحمة و الحنان و الرأفة و الإيثار و الحدب، و الإحساس بالمسؤولية حيال الأخرين سواء في القول أو في الفعل،... .

كما نُسب إلى عبيد بن الأبرص في مجمهرته الحكمية:

إذا كنتَ لم تعبأ برأي و لم تُطعْ

لنصحٍ ولاتُصغي إلى قول مرشدِ

فلاتتّقي ذمّ العشيرة كلّها

و تدفع عنها باللسان و باليدِ

و تصفح عن ذي جهلها وتحوطها

و تقمع عنها نخوةَ المتهدّدِ

و تترل عنها بالمكان الّذي به

يري الفضلُ في الدّنيا على المتحمّدِ

فلستَ و إن علّلت نفسَك بالمنى

بذي سؤددٍ بادٍ، و لا كرب سيدِ

(الديوان،٥٨).

لقد ارتقت هذه النزعة لدى بعض عرب الجاهلية و بعض شعرائها قدراً من التعاطف و السموّ، يصعب تصديقُهُ، فقد تجاوزت عاطفة هؤلاء المصلحين مجتمعَهم البشريَّ، لتشمل الوحوش و الطير و الأشياء في الصحاري، بنظرة عطوف حانية نادراً نجدُ لها نظيراً أو مثيلاً في الشعر الإنسانيّ جميعه... .

يروى عن الشاعرالنّجاشي، في قصّة له مشهورة مع ذئب عَطِش في الصحراء، يسعي منافسة الشاعر على مورد ماء، و بعد حوارٍ يحمل معاني إنسانية مع الذّئب الظامئ، يتخلّى له الشّاعر عن المورد و يمضي في طريقه رفقاً به و خوفاً عليه من الموت،ينشد النجاشي في قصيدته هذه:

و ماءٍ كلون الغِسل قد عاد آجناً

قليل به الأصواتُ في بلد محلِ

وجدتُ عليه الذّئبَ يعوي كأنّه

خليعٌ خَلا من كل مال و من أهلِ

فقلتُ له يا ذئبُ، هل لك في فتي

يؤاسي، بلا مَنٍّ عليك و لابخلِ

Archive of SID

www.SID.ir

فقال هداك اللهُ للرّشد إنّما
دعوتَ، لما لم يأته سَبعٌ قبلي
فقلت عليك الحوضَ إنّي تركتُه
و في صفوه فضلُ القلوص من السَّجل
فطرّب يستدعي ذئاباً كثيرة
وعدّيتُ، كل من هواه،على شغل
(الشريف المرتضي،٢/٢١١).

وهناك روايةً عن عبدالمطلب جدّ الرسول الكريم (ص)، أنّه تخلّى عن مصاحبة صديقه و قريبه، حرب بن أمية، لأنّه قتل أحَد اليهود بغير الحقّ، ثمّ لم يكتف بذلك، بل فرض عليه أن يدفع مائةَ ناقة ديةً لابن عمّ اليهودي القتيل، و هي دية ما كان يحلم بها إلّاً سادةّ قريش(الألوسي،٢/٣٢٣):

نعم، هناك كثير من الأحداث و الشواهد تُؤيد نزعة الإيثار و الوفاء والعفّة عند كثير من عرب الجاهلية، بل تكذب الأحكام المطلقة و المتحاملة لبعض المستشرقين الّذين وصفُوا العربيّ الجاهلي بالطمع و الأنانية و حبّ الإمتلاك و شحّ العواطف و... .

كما نشاهد الشاعر الجاهلي «عروة بن الورد» زعيم مدرسة الصّعاليك في العصرالجاهلي يقول معبّراً عن الإيثار:

و إنّي إمروٌ عافى إنائي شركة
و أنت إمروٌ عافى إنائك واحدٌ
أ تهزأ منّي أن سمنتَ و أن ترى
بجسمي مسَّ الحقّ و الحقُّ جاهدُ
أفرق جسمي في جسوم كثيرةٍ
و أحسو قراح الماء و الماءُ باردُ
(الديوان،٣٩-٣٨).

و يقول أيضاً في الإيثار و أدب التعامل:

فراشي فراشُ الضّيف و البيتُ بيتهُ
و لم يلهني عنه غزالٌ مقنَّعُ
أحدّثهُ إنّ الحديث من القِري
وتعلم نفسي أنّه سوف يهجعُ
(المصدر نفسه،٦١).

كما يقول حاتم الطّائي في الإيثار:

وما أنا بالسّاعي بفضل زمامها
لتشربَ ما في الحوض قبل الركائب
فما أنا بالطاوي حقيبة رحلها
لأركبها خفاً و أترك صاحبي
إذا كنتَ رَبّاً للقلوص فلا تدع
رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنِخها فأردفه ، فإن حملتكما
فذاك، و إن كان العقابُ فعاقِب
(الديوان،١٦-١٧).

ثمّ يقول في قصيدةٍ أخري:

و إنّي لأستحيي صحابي أن يرَوا
مكانَ يدي في جانب الزاد، أقرعا
أقصِّر كفي أن تنالَ أكفّهم
إذا نحن أهوينا و حاجتنا معا
أ بيتُ خميصَ البطن، مضطمرَالحشى
حياءً، أخاف الذمَّ أن أتضلّعا
(المصدر نفسه/٦٥).

في هذه الأبيات نشاهد الإحساس المفرط في رقّته و سموّه ، حيال الآخر والسّموّ الخلقي والّذي يدلّ على وجود مناخ من الثقافة الخلقية، و تهذيب المشاعر والسّلوك، قد

Archive of SID

www.SID.ir

أسهمَ في صقل المشاعر و تهذيبها من نزعات الجشع والأنانية و ...

كما نلاحظ «السّموأل بن حيان بن عاديا»، الشاعر الجاهلي، الذي ضُرب به المثلُ، فقيل «أوفى من السّموأل» لأنّه آثر أن يذبح ولده و لا يسلّم لأعداء «امريء القيس» ما استودعه من مال و سلاح، يرسم لقومه صورةً مشرقة في البذل و العطاء، يقول في ذلك:

فنحن كماءِ المزن ما في نِصابنا
كهام و لا فينا يعدُّ بخيلُ
و ما أخمدت نارٌ لنا دون طارقٍ
و لا ذمَّنا في النازلين نزيلُ
(البستانيّ، ١/٣٤٥).

و نرى حاتماً يقدّم، بمساهمته الإنسانية و بإيثاره و رأفته الحانية، نموذجاً متفرداً، إنّه يرتقي بالنزعة الإنسانية و القيم الأخلاقية إلى مستوى الكمال، بل إلى مستوي الأسطورة:

أ ماويَّ ! إني رُبَّ واحدِ أمّهِ
أجرتُ، فلا قتلٌ عليه ولا أسرُ
(المصدر نفسه، ١/٣٠٢).

و نلاحظ زهير بن أبي سلمى، يرتقي بحكمته و نزعته الإنسانية إلى مستوى المصلحين الكبار، ليس فقط، في دعوته المتكرّرة إلى الحلم و الرفق و العدل و التعّقل، أو البعد عن البغي و الظلم، بل في موقفه من الحرب و دعواته المتواصلة و الملحّة إلى السّلم، كما في قوله:

و ما الحربُ إلّا ما علمتم و ذقتم
و ما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متي تبعثوها تبعثوها ذميمةً
و تضرَ إذا ضرَّيتُموها فتضرمِ
فتعرككم عرك الرّحي بثِفالها
و تلقح كشافاً ثمّ تنتج فتتئمِ
فتنتج لكم غِلمانَ أشأمَ كلّهم
كأحمر عادٍ ثمّ ترضع فتفطم
(الديوان، ٨١-٨٢).

فهو في موقفه هذا، يعبّر عن الإحساس العميق بالمسؤولية الإجتماعية، و عن التزامه الأخلاقيّ و الإنسانيّ تجاهَ الحياة و النّاس، و بهذا المقياس يمدح هرم بن سنان و الحارث بن عوف الّذين كان لهما الفضل في سبيل الصلح بين عبس و ذبيان في حرب داحس و الغبراء، بما دفعاهُ من مال و إبل و جهد، دية لقتلى القبيلتين و سَعياً وراءَ إطفاء نارالحرب و التغلّب على آثارها، إنّه يمدح فيهما الحكمة و الحلم و العقل والإيثار و الحسّ الإنساني و السخاء و الحزم و الإلتزام بالمجتمع و الحياة، كما يقولُ:

يميناً لنعمَ السّيدان وُجِدتُما
على كلّ حالٍ من سَحيلٍ و مُبرمِ
تداركتما عبساً و ذبيانَ بعد ما
تفانَوا و دَقّوا بينهم عِطرَ منشم
و قد قلتما:«إن ندرك السّلمَ واسعاً
بمالٍ ومعروفٍ، من الأمرنسلمِ!»
فأصبحتما منها على خيرموطنٍ
بعيدينِ فيها من عُقوق و مأثمِ
عَظيمينِ في عُليا معدٍّ هُديتما!
و من يستبحْ كنزاً من المجد يعظُمِ
تُعفّى الكلومُ بالمِئينَ؛ فأصبحت
ينجّمها من ليس فيها بمُجرمِ
يَنَجّمها قوم لقومٍ غرامةً
و لم يهريقُوا بينهم ملءَ مِحجمِ

Archive of SID

www.SID.ir

فأصبح يجري فيهم من تلادكم

مغانمُ شتّى من إفالٍ مُزنَّمِ

(المصدر نفسه ٧٩-٨٠،البستانيّ ١/٨٥).

نتائج البحث

١- إنّ الحكمة كانت ثابتة مبثوثة في ثنايا الأدب الجاهلي، بما تحمله من معانٍ أخلاقية و إصلاحية ، و تردّدت أشعار كثيرة مفعمة بالحكمة عند فريق الإصلاح و النزعة الإنسانية من شعراء الجاهلية أمثال لبيد بن ربيعة و زهيربن أبي سُلمى و أوس بن حجر و ... الّذين جنَّدوا شعرهم وحكمتهم لإصلاح الواقع و تخليصه من مثالبه مكرِّسين في شعرهم مفاهيم و قيم العدل والإيثار و الحلم و الميل إلى المسالمة و كشفوا عمّا يحمله الظلم و البغي و القسوة و الحرب من نتائج وخيمة على الفرد و المجتمع، وعلى الحاضر و المستقبل، و على الظالم والمظلوم.

٢- ينقل الشعرالجاهلي فضائل أهل الجاهلية و مثلهم العُليا كما ينقل مثالبهم وما اتّصف به العربيّ الجاهلي من تعسّف وسفه و غلظة و ... و يظهر لنا مباهاة العربيّ الجاهلي بالفضائل و مدى تعلّقه و إعجابه بالحكمة و الحلم و العدل، بل إنّ الدعوة في الأدب الجاهلي إلى هذه الفضائل تكاد تغلب دعوات التطرّف و القسوة و حبّ الإنتقام و قد إنعكس هذا الأمر جلياً في أشعارهم.

٣- إنّ الحكمة اتّخذتْ جانباً متألّقاً في شعر بعض شعراء الجّاهليّة، و تشير إلى أنّهم كانوا أصحابَ رسالةٍ و أصحابَ رؤيةٍ، وأنّ الشّعرليس ترفاً وجدانياً فحسب،و إنما بصرٌعقليٌّ و دأبٌ فنيّ، و رسالةٌ إنسانيّةٌ.

المصادر و المراجع

[١] القرآن الكريم

[٢] الأصفهانى، أبوالفرج، الأغاني، مطبعة دار الكتب، ١٩٢٨م.

[٣] الألوسي، بلوغ الأدب، مطبعة دار الكتاب الحديثة.

[٤] أبو تمام، ديوان الحماسة، مختصر شرح التبريزي، مطبعة محمد علي صبيح و أولاده، ١٩٥٥م.

[٥] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ه.

[٦] إمرؤالقيس، ديوان، تحقيق د.محمد رضا مروة، الدار العالمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٣ه. ١٩٩٣م.

[٧] الأعشي الكبير، ديوان، شرح د.محمد أحمد قاسم، المكتب الإسلاميّ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٥ه. ١٩٩م.

[٨] أوس بن حجر، شرح د.محمد يوسف نجم، دار صادر، الجامعة الأمريكية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧ه.١٩٦٧م.

[٩] البستاني، فؤاد إفرام، المجاني الحديثة، دار المشرق، الطبعة الرابعة، بيروت،١٩٩٣م.

[١٠] تأبّط شرّاً، ديوان، إعداد طلال حَرب، الدارالعالمية، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، ١٤١٤ه. ١٩٩٣م.

[١١] الحطيئة، ديوان، شرح د.يوسف عيد، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٣ه.١٩٩٢م.

[١٢] حماسة البحتري، دار الكتاب العربيّ، الطّبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٧م.

[١٣] دشتي، محمّد، نهج البلاغة، انتشارات آل على (عليه السّلام)، مطبعة بهار، الطبعة الثانية،١٣٨١.

[١٤] الريشهري، محمد، العلم والحكمة في الكتاب والسنّة، دارالحديث الثقافية، قم المقدّسة، الطبعة الأولى،١٣٧٦ش.

Archive of SID

www.SID.ir

[١٥] الزّبيدي، محبّ الدين، تاج العروس، تحقيق:عبد الستّار فراج، وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥ه.

[١٦] الزمخشري، محمد بن عمر، الكشّاف في تفسير القرآن، دارالمعرفة، بيروت.

[١٧] زهير بن أبي سلمي، ديوان، شرح د.عمر فاروق الطبّاع، دارالقلم، بيروت– لبنان.

[١٨] الطباطبائي، الميزان في تفسيرالقرآن، منشورات جماعة المدرِّسين، قم المقدّسة، الطبعة الخامسة، ١٤١٧ه.

[١٩] الطبرسي، مجمع البيان في تفسيرالقرآن الكريم، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ه.

[٢٠] طرفة بن العبد، ديوان، شرح د.عمر فاروق الطبّاع، دارالقلم، بيروت– لبنان.

[٢١] الطّائي، حاتم، ديوان، د.عمر فاروق الطبّاع، دارالقلم، بيروت– لبنان.

[٢٢] الطوسي، التبيان، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الأمين، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ ه.ق.

[٢٣] الشريف المرتضى، أمالي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دارإحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م.

[٢٤] عامربن الطفيل، ديوان، رواية أبوبكرمحمّد الأنباري، دار بيروت، لبنان، ١٤٠٦ه. ١٩٨٦م.

[٢٥] عبيد بن الأبرص، ديوان، شرح أشرف أحمد عَدَرة، دار الكتاب العربيّ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٤ه. ١٩٩٤م.

[٢٦] فضل اللّه، محمّد حسين، أسلوب الدّعوة في القرآن، دار الملاك للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، الطّبعة السادسة، ١٤١٨ه.

[٢٧] فضل اللّه، محمد حسين، الحكمة في خطّ الإسلام، بيروت، لبنان، مؤسّسة الوفاء.

[٢٨] قيس بن الخطيم، ديوان، تحقيق د.ناصر الدّين الأسد، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧ ه. ١٩٦٧م.

[٢٩] لبيد بن ربيعة، ديوان، تحقيق د.احسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.

[٣٠] المفضّل الضّبي، المفضليات، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.

[٣١] ميرزايي، على أكبر، نهج الفصاحة، نشر تشاف، قم، ١٣٨٥ ه.ش.

[٣٢] النويريّ، نهاية الأرب، وزارة الثقافة، مصر، ج٧.

Archive of SID

www.SID.ir

گرایش‌های حکَمی در شعر جاهلی

غلامرضا کریمی فرد[۱]، أمید جهان بخت لیلی[۲]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/۵/۳۱ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/۲/۱

واژه «حکمت » در۲۰ مورد از آیات قرآن وارد شده و بیانگر یکی از الطاف خداوند نسبت به بندگان است. از این روست که وقتی جنبه هایی از«حکمت» نزد یک شاعر پدیدار می‌گردد، کلام را قدرت تاثیر ونفوذ می بخشد. حضرت رسول اکرم (ص) فرموده‌اند که: «حکمت گمشده ی مومن است» پس مومن در جستجوی اوست.

نگارندگان در این پژوهش، پیرامون حکمت در شعر جاهلی به بحث پرداخته و پاره‌ای از این گونه شعر را که برخوردار از مضامین حکَمی بوده و بیانگر فضایل مردان آن روزگار است، بررسی نموده اند. حکمت در شعر جاهلی حاصل تجربه ی شخصی و برگرفته از رویدادها و تعاملات محیطی پیرامون شاعر است. این گونه شعرها معمولاً دارای معانی ساده، روانی الفاظ و متانت سبک‌اند.

واژگان کلیدی: حکمت، شعر جاهلی، گرایش‌های انسانی.

۱. استادیار دانشگاه شهید چمران اهواز

۲. دانشجوی دکتری دانشگاه شهید چمران اهواز

Archive of SID

www.SID.ir